

لقد قادت المملكة العربية السعودية وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية الأسبوع الماضي تحالفاً متعدد الجنسيات لعمل تخفيضات كبيرة في إنتاج النفط، وهو التخفيض الأكبر في تاريخ العالم، وذلك بعد انخفاض الطلب بسبب أزمة فايروس كورونا والخلاف بين المملكة العربية السعودية وروسيا الذي أدى إلى تدمير أسعار النفط. والتزمت 23 دولة باتفاق تخفيض النفط بمقدار 9.7 مليون برميل يومياً من الأسواق العالمية. وتعهّدت الدول الأخرى المنتجة للنفط مثل الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمكسيك والبرازيل والنرويج بخفض الإنتاج. وقد تم إبرام الصفقة بعد مفاوضات طويلة بين جميع الأطراف وعدة مكالمات هاتفية بين الرئيس الأمريكي دونالد ترامب وولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان والرئيس الروسي فلاديمير بوتين. ولم تكن الولايات المتحدة الأمريكية نشطة على الإطلاق بهذا الشكل في صياغة معاهدة كتلك. ومع ذلك، فقد لا تكون التخفيضات كافية لدعم ارتفاع الأسعار في الأسابيع المقبلة، حيث أدى الإغلاق العالمي إلى تراجع الطلب على البنزين والديزل ووقود الطائرات.

ويُمكن استخلاص استنتاجين من عملية التفاوض وتوقيع الاتفاق. أولاً، فقد عمل المنتجون والمستهلكون الرئيسيون للنفط بدأً بيد من أجل التوصل إلى اتفاق لتحقيق الاستقرار في أسواق النفط العالمية. وفي معظم النصف الثاني من القرن العشرين، فقد كانوا يتنافسون ضد بعضهم البعض. وفي عام 1960، أنشأت إيران والعراق والمملكة العربية السعودية والكويت وفنزويلا منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك)، وانضم منتجون آخرون إلى المنظمة في السنوات التالية. وقد كان الهدف، ولا يزال، يتمثل في الحصول على ما يعتبره الأعضاء بأنه سعر "أكثر عدلاً". وبعبارة أخرى، أراد منتجوا النفط الرئيسيون سعراً أعلى للمنتجات الخام ومنتجات النفط. وقد جاءت الفرصة بعد فترة وجيزة من الصراع العربي الإسرائيلي عام 1973، وذلك عندما خُفض منتجوا النفط العرب الإنتاج وكانوا قادرين على رفع الأسعار. وتُعرف تلك في صناعة النفط بأنها صدمة النفط الأولى. واستجابة لذلك، قادت الولايات المتحدة الأمريكية المستهلكين الرئيسيين للنفط إلى إنشاء الوكالة الدولية للطاقة بين عامي 1973 و1974. وقد كان الهدف مُتمثلاً في إبقاء الأسعار منخفضة. وبشكل مختلف، كان لدى أوبك والوكالة الدولية للطاقة أهداف متضاربة، وقد عملوا ضد بعضهم البعض في السبعينيات والثمانينيات وأوائل التسعينيات. والآن، توصلت المنظمتان (أي المنتجين والمستهلكين) إلى استنتاج مفاده بأن الأسعار المستقرة عند مستوى معقول هي في مصلحة الجميع.

ثانياً، تعتمد العديد من الدول في منطقة نيبسا (وأماكن أخرى) بشكل كبير على عائدات النفط. وإن التذبذب الشديد في أسعار النفط يجعل من الصعب وضع أي خطط طويلة الأجل. ويتحدث معظم منتجوا النفط، إن لم يكن جميعهم، عن تنويع اقتصاداتهم وتقليل تعرضهم لتقلبات الأسعار. وعلى الرغم من الجهود المخلصة والعدد القليل من الحالات الناجحة، فإن معظم منتجي النفط أمامهم طريق طويل من أجل إيجاد مصادر أخرى للدخل القومي. ويجب أن تكون الأزمة الحالية بمثابة تحذير لهم ولمساعدتهم على تكثيف جهود التنويع التي يبذلونها.